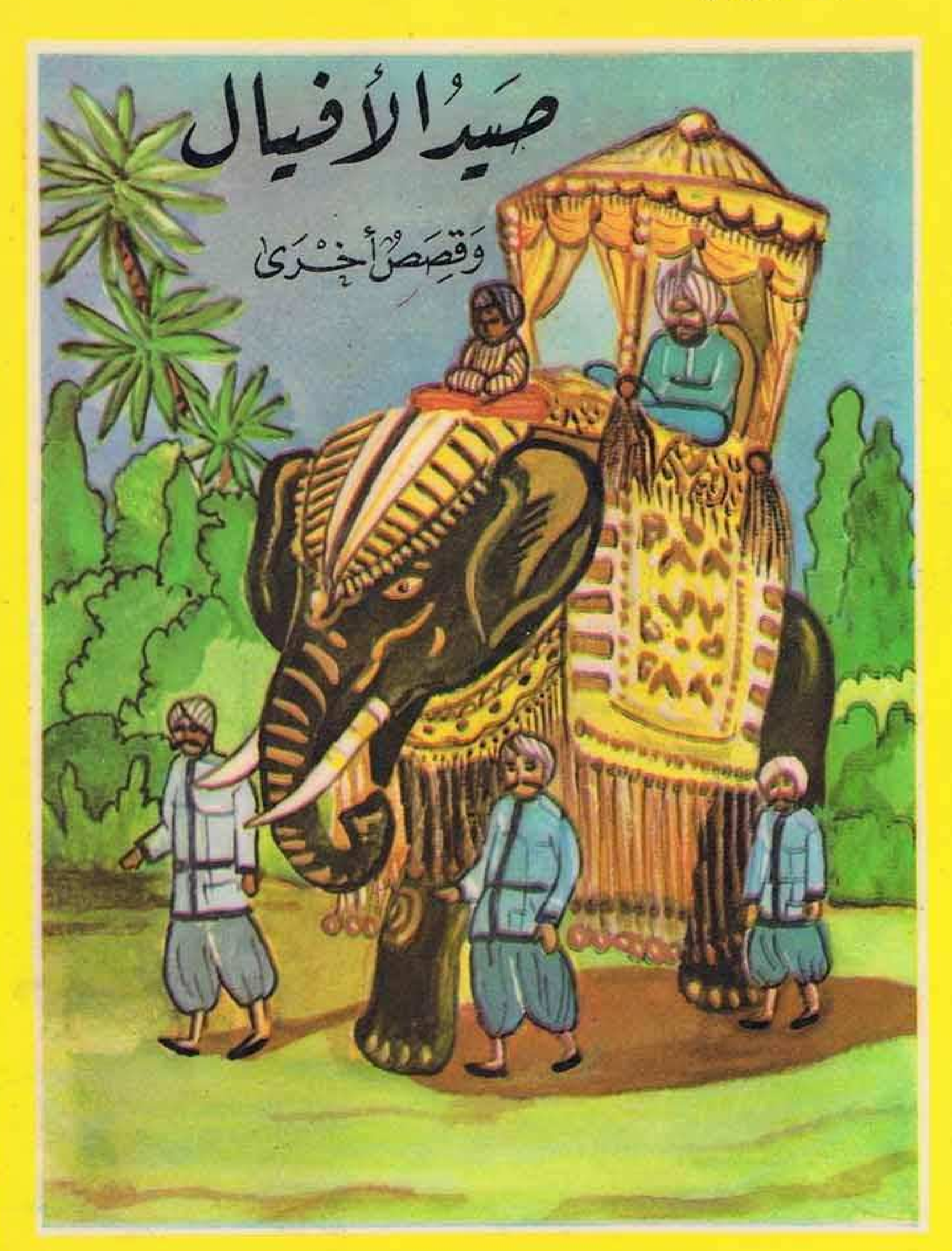
مجموعة قصص عالمية للأولاد

روز غريّب

٢٢



دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان

مجموعة قصص للأولاد

٢٢

روز غريّب

صيد الأفيال

وقصص أخرى

•

تصدرها
دار الكتاب اللبناني

صبر الافيال

كان تُوماي الصغير يَنْتَظِرُ بفَارِغ الصَّبْر مَوْعِدَ صَيْد الأَفيال البريَّة ويَحْلُم به كُلَّ لَيْلَة . وفي اليوم الموْعُود نهضَ في الصباح الباكِر مِن فِراشِهِ وفيما هو يغسل وجْهَه أفاقت أُخْتُه الصغْرى تارا وسأَلَتْهُ : إلى أَين أَنت ذاهب ؟

فهَمَس في أُذنها : إلى صَيْد الأَفيال .

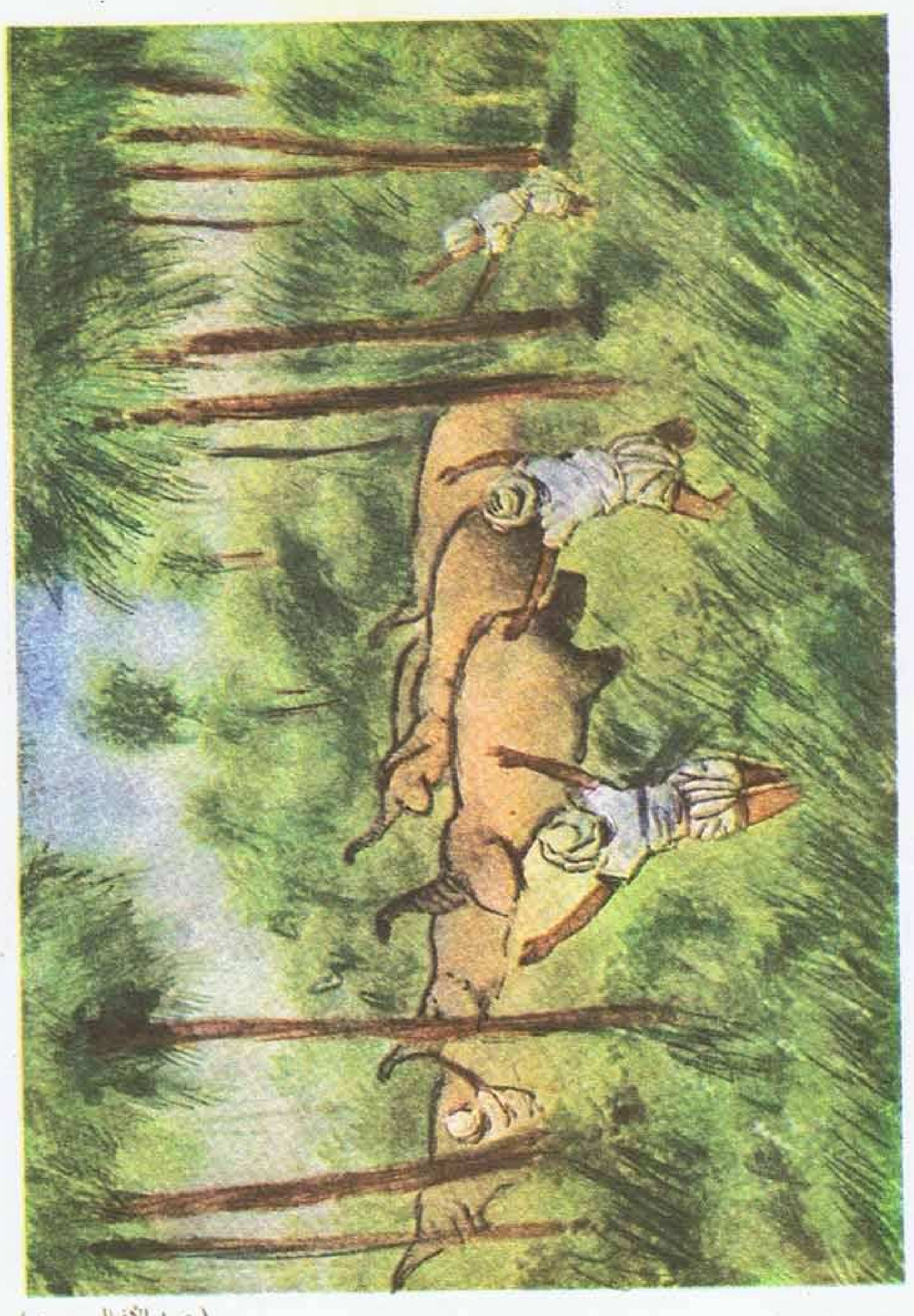
فقالت : هل تَقْتُلُونها ؟

فأَجاب : لا لا ... بل نُريد تَرْوِيضها وتَعْلِيمَها لتُصْبح لطِيفَة مُهَذَّبة مِثل فيلنا « الحية السوداء » فنركَب ظُهُورَها ونُحَمِّلها الأَحمال الثقيلة . أَتَعْرِفِينَ أَنَّ « الحيَّة السوداء » يشترك في الصيْد ؟

- كيف ولماذا ؟

ـ لأَنَّ الصيَّادين يُطارِدُون الأَفيال البرِيَّة وحين يحبسونها في الحظيرة الكبيرة ، تُهاجِمُها الأَفيالُ الأَليفَة ـ مثل فيلنا ـ وتَحْمِلُها على الطاعة .

كان تُوماي الصغير ولدًا هِنديًّا ، عُمرُه يَزيدُ قلِيلًا على العاشرة ، أَسمرَ اللَّون ، ذا شعر شديد السَّوَاد ، أَمْلَس طويل يكاد يَبْلُغ كَتِفَيْه . وبما أَنَّه يعيش في بلاد حارَّة ، فلِباسه قُطنِي خفيف يُغَطِّي القِسم الأَسْفل من جسمِهِ ويَترُك القِسْمَ الأَعلى عارياً . هذا اللباس يناسِبُه خُصُوصاً لأَنَّه قضى طفُولته بَيْن الأَفيال وتمرَّنَ على رُكُوب الفيل فوقَ عُنُقِه ـ وهو المكان الصالحُ للرُكُوب ـ لأَنَّ ظَهْرَ الفِيل أَوْسَع مِنْ أَن يَسمَح بركوبه . وكان أَلَذَّ لَهْوٍ عند تُوماي أَن يُشارك أَبَاه في رعاية الفيل فيُطْعِمُهُ العُشْبَ الطَرِي ويُنَظِّف أُذْنيه الضَّخْمَتَيْن المُتَدَلِّيَتَيْن على جانبَي رأسِهِ ، ويَقلع من أَرْجُلِهِ الأَشْواكَ الَّتي تَعْلَقُ بِها أَثْناءَ سَيْرِهِ فِي الأَدْغالِ وَتَوَقُّلِهِ الجبال . لأَنَّ تُوماي الصغير هو ابْنُ تُوماي الكبير ، سائِس الأَفيال ، الَّذي ورِثَ عن أَبيه فِيلَهُ المَدْعُو « الحيَّة السوداءَ » لِسَوَادِ لَوْنِهِ ، واعْتَنى به أَشَدَّ العِنايَةِ ، فكان الفِيل يُؤَدِّي له



أعظَم الخَدَمات . يَنْقُل له الأَحمال الثقيلة ويَحْمِلُهُ في مواكب الأَعياد .

إن تومأي الصغير يعرف كلَّ شيءٍ عن الأَفيال . يعرِفُ أن الفِيل هو الحيوان الذي يُقَدِّسُه الهُنود ويُكرِمُونَهُ لأَنَّ الخدمات التي يُؤَدِّيها لهم تُضاهي خدَمَات الجَمَل للعَرَب . وهو يَعْرِفُ خُصُوصاً قِصَّة فيلِهِم «الحية السوداءُ» الذي اصْطَادَه الصَّيَّادُون حين كان في العشرين من عُمره ، قبْلَ أَنْ يَبْلُغَ تَمَامَ قُوَّتِهِ ، وعاش عند أُسْرة تُوماي حتى بلَغَ السَّبْعِين وهو سِنُّ كُهُولَتِهِ . فشَهِدَ موتَ الجَدِّ الأَكبَرِ الذي دَخَلَ في خِدْمَتِهِ ، والجَدِّ الثاني الذي رَحَلَ به مرَّة إلى الحَبَشَةِ وعايَشَ الأَب الذي يَسُوسُه الآن ويَعْتَنِي به . وشَهِدَ وِلَادَةَ تُوماي الصغِير الذي سَيُصْبح يوماً سائِسَه . لأَنَّ الفيل أَطْوَلُ الحَيَوَانات عُمْرًا وأَعْظَمُها جُثَّة . يَعِيش أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ سنة . يَبْلُغ تمام قوَّته في الخامِسَةِ والعِشْرِينَ ، بَعْدَ أن يُفَرِّمَ أنيابَهُ العاجِيَّة كما يُفَرِّم الأَوْلاد أسنانَ الحليبِ . حينئذ يَقْطَع السائِس رأْسَ النَابِ ويَجْعَلَ حَوْلَها حَلْقَةً نُحاسِيَّة تَمْنَعُها مِنَ التَّشَقُّق.

كان تُوماي الكبير يَتَحَدَّثُ في إحدى الأُمْسِيات إلى

بَعْضِ زُمَلائِهِ . وسَمِعَه ابْنُهُ يَقُولُ : لقد كَبِرْتُ في السنِّ وتَعِبْتُ مِنَ الاشْتِراك في مَوْسم الصيد وصِرْتُ أَكْرَهُ صُعُود التلالِ وهبوطَها ! لَيْتَنِي أَبقى هنا في هٰذه السهول حيث يَقْتَصِرُ عملي على حِراسَة الأَفيال مُدَّةً لا تَزِيدُ على ثلاث ساعات في اليوم !

سَمِعَ تومايِ الصغير كلام أَبيه فخفق قلبُهُ من الحُزْن والتأَثُّر . لأَنَّه كان يُحِبُّ موْسِم الصيد الذي يُقام كل سنة . حين يسُوق كل سائسٍ فِيلَه للاشْتِراك في المُطارَدَةِ ويأْتي صَيَّادُون ومُرَوِّضُون أَشِدَّاءُ فَيَقُودُونَ الحَمْلة ويُخيفون الأَفيال البَرِّيَّةَ بإِشْعال النَّار وإِطْلاق المُفَرْقَعَات وإِحْدَاثِ الجَلَبَةِ والصِّياح الذي يَفْرَحُ له قَلْب توماي .

فما إِنْ سَمع قَوْل أَبيه حتى ركَضَ مُسْرِعاً إِلى حَيْث كان الأَب مَعَ زُمَلائِهِ ، وقال له : إِذا كنت لا تُريد حضور موسِم الصيد والاشْتِراك في مُطارَدَةِ الأَفْيال ، سأَقُوم مَقَامَك ! صَحِيح أَنَّ قامتي لا تَزِيد على المتر إِلَّا قَلِيلًا ، لٰكنَّ فيلنا « الحيَّة السوداءُ » يَخافُني كما يخافُك ، رَغْمَ أَنَّ طُوله أَكثر من ثلاثة أَمتار !



ولكي يُبَرهِن توماي على بَرَاعَتِهِ، تَقَدَّمَ مِنَ «الحيَّة السوداء» وأَمَرَهُ بِأَنْ يَرْفَعَ قَوَائِمَهُ الضخْمَة واحِدًا بَعْدَ آخَر، ففَعَلَ الفِيلُ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّد. ثم أَشار له إِشَارَة خاصَّة بِيَدِه، فَرَفَعَه الفِيل بخُرْطُومه الكبير ثم لفَّ الخرطوم حَوْلَ خَصْر الولَدِ، حتى صار توماي مُرْتَفِعاً عن الأَرض أَكثر من ثلاثة أَمتار!

فأُعْجِبَ تُوماي الكبير بمَهَارة ٱبْنِه وقال له: لقد غيَّرتُ رأْيي. سأَحضَر الموسِم وستُشاركُني أنتَ في قِيادَةِ «الحيَّة السوداء» بعصَايَ الحديدية حين نُطارِدُ الأَفيالَ البريَّة.

ولما جاءَ صَبَاح ذاك اليوم، كان تُوماي وأَبُوه يَصْعَدَانِ التِّلال ويَهْبِطَانِ الأَوْدِيَة مَعَ فِيلِهما. وما لَبثَ أَنِ ٱنْضَمَّ إِلَيْهِمَا باقِي السائِسِين مَعَ أَفْيالِهِم، وجماعةٌ من الصيَّادين والمطارِدين. وحِينَ لاح لهم عن بُعْدِ قَطِيعُ الأَفْيال البريَّة هَبُّوا لِمُلاحَقَتِهِ. واستمرت المُطارَدَة عِدةَّ أَيَّام. وفي أَثناء الليل كانوا يَنْصُبُون خِيامَهُم في العَرَاءِ فتُمْطِر عليهم السماءُ أو يحْجُب طريقَهُم الضباب، وهم يُواصِلُون السيْر بشَجَاعَة،

ويَدْفَعُونَ أَمَامَهُم الأَفْيَالَ البريَّة ، حتَّى إذا قَارَبَتَ الحظيرَةَ المُعَدَّةَ لها ، كان المشْهَدُ العظِيم الذي لا يَسْتَطِيع تُوماي أنْ يَنْساهُ : هجَمَ الصيَّادون على الأَفيال البريَّة بالمشاعِل لكيْ يُخيفُوها ، وأَطْلَقوا المُفَرْقَعات والأَسْهُمَ الناريَّةَ وأَرْسَلُوا الصَيْحاتِ والهُتافات فارْتَعَدَتِ الأَفْيالُ ولَجَأَت إلى الحَظِيرة ولما حاوَلَتِ الهَرَب اصْطَدَمَت بالأَوْتاد الغَلِيظَةِ التي أَحاطَت بالحَظِيرَة . وتَعَالَتِ الأَصْوَاتُ وتَحَرَّكَتِ المشَاعِل وبَدَأَتِ الأَفيال الأَليفَة تُعارِكُها لكي تَهْدَأَ وتَلِين . وتحَوَّل المكان إلى سَاحَةِ حَرْب !

لم يَقِفْ تُوماي جامدًا أمام المَشْهَد . بل تسَلَّقَ أَحَدَ الأَوْتاد الضَخْمَة وأَخذَ يُلَوِّحُ بِمِشْعَلِهِ ويَصْرُخُ بأَعلى صَوْتِهِ ، مُحَرِّضاً فِيلَه « الحيَّة السوداء » على مُهاجَمَة الأَفيال البريَّة . وسَمِعَه والِـدُه يقُول مُخاطِباً فِيلَه : أُهجُم أُهجُم يـا كالاناغ ! إنطَحْهُ بنَابِك ! إيَاك والوَتَد ! هاي هاي ! ما شاءَ الله !

وحِينَ سَقَطَ الحَبْل مِنْ يَدِ أَحَدِ المُروِّضِينَ ، رمى تُوماي بنَفْسِهِ إلى الأَرض وتَغَلْغَلَ بيْنَ أَرْجُلِ الأَفْيال الهائجة

حتَّى عَثَرَ على الحَبْل وأعادَهُ إلى صَاحِبِهِ .

كان رئيسُ السَّائِسِينَ يُلاحِظُ شجاعَةَ تُوماي الصَّغير فأُعْجبَ بمَا أبْداه مِنْ مَهارَة وذَكاءٍ والْتَفَتَ إلى رَفيقِهِ قائِلًا : «سَيُصْبح هٰذا الغُلام رئيساً مكاني يَوْماً ما . »

وبَعْدَ مُدَّة احْتَفَلَ تُوماي الكبير بتَنْصِيبِ ابْنِهِ سائِساً مَكَانَه . وتَمَّت نُبُوَّة رئيس السائِسِين فأَصْبَح توماي الصَّغير فيما بَعْد رئيساً في مكانه .

أمَّا فِيلُه «الحيَّة السوداءُ» فقَدِ اشتَرَاه «مَهراجا» أي أَمير هِنْدي عظيمُ الغِنَى . لأنَّه أُعْجِبَ بضَخَامَةِ جسْمِهِ ولِين طِبَاعِهِ . فَجَعَلَ في أُذُنَيْه أَقْرَاطاً مِن ذَهَب ووَضَعَ على ظَهْرِهِ هَوْدَجاً[1] مُذَهَّباً ، وعلى جانِبَيْه غِطاءً أَحْمَر مُوَشًّى بالذَّهَب . وهٰكَذَا أَعَدَّهُ للسير في موكب الملك .

---

(١) الهَوْدَج : خَيمة ذات ستائر .

الاكواريوم

بينما كان نبيل ونَدَى يأْكُلان مع أَبِيهما في أَحَدِ المطاعم حانت مِنْ نَدَى ٱلْتِفَاتَةٌ فرَأَت على طاولة مَوْضُوعَةٍ في إِحْدَى زَوَايَا المطْعَمِ كُرَةً ضَخْمَة مِنَ الزجاج ، في داخِلِها أَسماك حمراءُ فقالت نَدَى لأَخِيها : أُنْظُرْ أُنْظُر . أَلَيْسَ هٰـذا الأَكواريُوم ؟

وٱلْتَفَتَ نَبِيل وأَبُوهُ إلى حَيْث أَشارَتِ الفَتَاة . وأَخذ الثلاثة يُلاحِظُون الأَسماك الحمراءَ اللمَّاعَة وهي تَشُقُّ الماءَ صُعُودًا وهُبُوطاً بسُرْعَةِ البَرْق، تُحَرِّك ذَنَبَها كالمِجْذَاف وتَرِفُّ زعانِفها كالأَجْنِحَةِ . ثم تَفْتَح فَمَهـا في فَتَرَات مُنْتَظِمَة لِتَبْلَع الماءَ الـذي يَخْرُج مـن خَيَاشِيمها بَعْدَ أَنْ تَمْتصَّ منه الأُكسجين .

إِقْتَرَب نَبيل مِنَ الأَكْواريوم مُحَدِّقاً ثم قال: أُنظُروا كيف يتَبَدَّل حَجْم السمَكَة بانْتِقَالِها من جانب إلى آخر. فحِيناً نراها بحَجْمِها الطبيعي وحِيناً يَكبُر حَجْمُها حتى يصِيرَ مُضاعَفاً. أَلَيْس هٰذا غريباً؟

فقال الأَب: إنَّ الجِدار الزجاجي المُحَدَّب يَكْثُف ويَعْظُم حَجْمُه بما وراءَه مِن ماءٍ، حتى يُصبح شبيهاً ببَلُّورة ضَخْمَة تُكَبِّر ما وراءَها مِن أَشياءَ، فإذا اقْتَرَبَتِ السمكة مِنَ الجِدار ظَهَرَ شَكْلُها بِحَجْمِهِ الطَّبيعي. وإذا ابْتَعَدَت، كَبُرَ حَجْمُها بنِسْبَة ابْتِعادِها عنِ الجِدار.

وتابَع الأَبُ: سنَذْهَب في الأُسْبُوع المُقبِل إلى المُتْحَف البِيُولوجي حَيْثُ نُشاهِدُ أَكواريوم عظيمَ الحَجْم يُشْبِهُ بِركة كبيرة مُسْتَطِيلَةَ الشَكْل تُرِينا أَنواعاً عديدَة مِنَ الأَسماك وأَشياء أُخرى غَيْرَ الأَسماك.

حِينَ وَصَل الولدان مع أَبيهما إلى المُتْحَف البِيُولوجي في الأُسبوع التالي، وجَدُوا الأَكواريوم الكَبير في رُكْنٍ مُظْلِم من إحدى الغُرَف، يَأْتِيه النور مِن مِصْباح كَهْرَبائي صَغير

في زَاوِيَةٍ مِنَ السقْف .

– « إِنَّ حَيَواناتِ الماءِ لا تُحِبُّ النور القَوِي بل تَكْتَفِي بقلِيل منه . فإِذا سَطَعَتِ الشمْس على سَطْح الماءِ ، سَبَحَتْ إلى الأَماكنِ السُّفْلى ، بعيدًا عن السطْح » .

هٰذا ما قالَهُ لهم دَلِيلُ المتحف الذي وقَفَ يُجيبُ عن الأَسئلة التي أَلقاها عليه نبيل وأُختُه .

إقتَرَب الزائِرُون الثلاثَة من الحَوْض الزُّجاجي الكبِير فشاهَدُوا هناك أَسماكاً مُختَلِفَة الأَشْكال والأَلوان ، عجيبَة الخِلقة ، بعضُها ثُلاثِيَّة الشكْل مُسَطَّحَة مِثل الكَفِّ ، والبَعْض الآخَر ذاتُ شَكْل كالمِغْزل ، وغيرُها يُشْبِه الحَيَّة العَرِيضَة .

كان بينَها الحَمْراءُ والخَضْراءُ والفِضِّيَّة والمُتَعَدِّدَةُ الأَلوان. وهُناكَ سَمَكَةٌ لها مِنْقارٌ طويل وأُخرى ذات زَعَانِف شائكة أَو واسِعة منبسطة كالمَراوح .

وصَرَخ نبيل : ما هذا الحيوان الذي يُشْبِه الحِصان ؟ أُنْظُروا !

قال الأَب : هُوَ سَمَكَة صغيرة لها عُنْق كَعُنْقِ الحِصَان وذَنَب مَعْقُوف إلى الأَمام فيُسَمُّونَها «حِصان البحر» .

وأضافَ الدليل : لكن يَجِب أَن نُميِّز بَيْنَهُ وبَيْنَ فَرَس البَحْر وهو الحَيَوان الضَّخْمُ الجُثَّةِ ، العظِيم الرأْس ، الذي حَجْمُه كَحَجْم الفِيل ، ويَأْلَف شَواطِئ الأَنهار في افريقيا .

لم يَكُنْ في الأَكواريوم أَسْماك فَقَط بل كان فيه أَيضاً سَلاحِف وضَفادِع تُحَرِّك أقدامَها كالمجاذيف . وحيوانات رَخْوَة لاصِقة بالأَرْض كالمَرْجان وريَّة البحر . ومَخْلُوقات صَغِيرة كالعَلَق والذُّباب وبراغيث الماءِ . وحَشَرَات قَـدِ ٱكْتَسَى جِلْدُها بشَعْرٍ قصِير كالزَّغَب .

وكان هناك أَعشاب ونَبَاتات مائِيَّة كالخَزِّ والقَصَب والطحَالِب والنَّيْلُوفَر وزَنَابِق الماءِ ، قد غرست جذورها النَّحِيلَة في طَبَقَةٍ كَثِيفَةٍ مِنَ الرمْل في جانِب مِنَ الحَوْض الكبير فقالت نَدَى : ما هذه الفَقَاقِيع التي تَتَصَاعَد وتَتَجَمَّع حَوْلَ الأَعْشاب ؟

أَجابَ الدَّلِيل : هٰذه ذَرَّات الأُكسجين التي تَقْذِفُها



النباتات بعد أن تأخُذ منَ الهواءِ الكَرْبُون الذي تَتَغَذَّى منه .

– ومِن أيْنَ يأْتِيها الهواءُ ؟

– تَسْحَبُه جُذُوعُها من سَطْح الماءِ في أنابِيب نَحِيفة . أُنْظُري ...

وتَنَاوَل من الماءِ جِذْعَ نَبْتَة مُنْتَصِبَة وقَطَعَهُ نِصْفَيْن فرأت نَدَى وأَخُوها الأَنابِيب الرَّفِيعَة الجَوْفاءَ التي يَجْري فيها الهَوَاءُ داخِل النَّبْتَة .

ثم قال الدَّليل : هٰذا الأُكسجين الذي تَقْذِفُه النباتات يُفيدُ الحيوانات المائِيَّة كالأَسماك التي تأْخُذُ الأُكسجين بواسِطَة خَيَاشِيمها ، والضفَادِع التي تَتَنَفَّس مِنْ جُلُودِها وحَشَرَاتِ الماءِ التي تَمْتَصُّ الهَوَاءَ من فَقَاقِيع الماءِ اللاَّمِعَة المُسْتَقِرَّة فَوْقَ شُعَيْرَاتِها . أمَّا السَّلاحِف فتَصْعَد إلى سَطْح الماءِ بَيْن حين وآخَر لِتَتَنَفَّسَ برِئاتِها الشَّبِيهَة برِئات الناس.

قال نبيل بلَهْجَة الظَّافِر : إذَن لهٰذا غرسْتُم النباتات

بجانِب الحَيَوانات . لِتَزِيد كمِيَّة الأُكسجين في الماءِ .

وقالت نَدَى : كذٰلِك الأَشجار التي في بُستان مَنْزِلِنا تزِيد كَمِيَّة الأُكسجين الذي نَتَنَفَّسُه .

فقال الدليل : نَعَم إن الأُكسجين ضَرُوري الحَيَوانات فإذا تعَرَّض الماءُ للشَّمْس واشْتَدَّت سُخُونَتُه ماتَتِ الحَيَوانات لَنِقص كَمِيَّة الاكسجين في الماءِ الساخِن . ثم إنَّ هٰذه النَّباتَات تَصْلُح غِذاءً لِبَعْض حَيَوانات الماءِ .

– وبماذا تَتَغَذَّى الحيوانات الأُخرى .

– يَفْتَرِسُ كَبيرُها صَغيرَها أَو تأْكُل بعضُها بعضاً . لهٰذا جَعَلْنا هٰذا الحوض كبيرَ الحَجْم ، فيَتَكَاثَرُ فِيه السُكَّان ويَجِدُون غِذاءً كافِياً من غَيْر أَن يَتَعَرَّضُوا للفَناءِ السَّرِيع .

الاوركسترا

كان خليل راجعاً مَعَ صَديقَيْه نبيل وأمَل من حَفْلَة الموسيقِيِّين الصِّغار التي حَضَرُوها في المَعْهَد الموسيقي .

رأوا بين العازِفين عَدَدًا من رِفاقِهم قدِ اشْتَرَكُوا في عَزْف الأُوركسترا ، وهي جماعَةٌ من الموسيقيِّين يعزُفُون معاً على آلات مُخْتَلِفَة كالكَمَنْجَة والبُوق والمزمار والطَّبْل والصُّنُوج والمثلَّث وغيرها من آلات ، لِكُلٍّ منها صَوْت مُخْتَلِف ، لكنَّها حِينَ تَعْزُف مُجْتَمِعَة تأْتي بأَنغام مُوَقَّعَة مُنْسَجِمَة ، تَسُرُّ السَّامِعِين .

وفيما هم يَتَحَدَّثُون عَنِ الحَفْلَة قال خليل : في بيتي أُوركِسْترا أُفَضِّلُها على هٰذه التي سَمِعْناها الآن .

ـ ماذا تَعْني ؟ سأَلَه نبيل .

- هل تُريدان مُرافَقَتِي إلى البيْت لأُسْمِعَكُما أُوركسترا مِن نوع آخر ؟

تحَرَّك فُضُولُ نبيل وأُختِه أَمَل وأَصْبَحَا مُتَشَوِّقين إلى مَعْرِفَةِ ما يَقْصِدُه خليل بالأُوركسترا التي في بَيْتِهِ ، إذ كانا يَعْلَمان أَنَّه لم يكن مُوسِيقِيًّا وأَنْ ليس بَيْن أَعْضاءِ أُسْرَتِهِ موسيقِيُّون .

حين وَصَلَ الأَولادُ الثَّلاثَة إلى بَيْت خليل ، قادَ هٰذا رفِيقَيْه إلى غُرْفَتِهِ . وبَعْدَ أَنْ جَلَسُوا للاسْتِراحَةِ قال : تعْرِفان أَنَّ هِوَايَتِي الكُبْرى هيَ جَمْعُ الحَشَرات . سأُريكما مَجْمُوعَةَ الحَشَرات التي عِندِي . إنَّها تتأَلَّف من أَنْواع مُخْتَلِفَة كالقِطَع الموسيقِيَّة وكثيرًا ما يتغنَّى أَفرادُها مَعاً بأَصوات مختلفة فتُؤَلِّف جَوْقَةً أَو أُوركسترا تُطْرِبُني موسيقاها أَكثر من الموسيقى التي سَمِعْناها في الحفلة .

فضَحِك نبيل وأَمَل . وتذكَّرا كيف أَنهما كانا يشْتَرِكان أَحياناً في حَفَلاتِ الأُنس المدرسِيَّة ويُمَثِّلانِ في أُوركسترا الهِرَرَة التي تُقَدِّمُ لِلْحُضُور أَنْواعاً مختلفة مِنَ الْمواءِ في

آن واحد .

بَعْدَ قليل اجْتَمَعَ الثلاثَةُ أمامَ باب المُتَخَت وهو غرفة في أعلى البيت كان خليل قد أَعَدَّها لإسْكان حَشَراتِهِ، لِهُدُوئِها وبُعدها عن عُيون الفُضُولِيِّين ومُحِبِّي الأَذى .

وقالَ صاحِب المجموعة : سَنَدْخُل الآن من غير أَن نُحْدِث صَوْتاً لئَلّا تَجْفُلَ الحشرات فينقطع غِناؤُها إذا أَحَسَّتْ بصَوْت أَو ضَجِيج

دخل الثلاثة على رؤُوس أَصابعهم ووقفُوا في جانب من الغرفة . ورأى نبيل وأَمل صُندوقاً كبيرًا مملوءاً بالتراب، غطّى أَرضه العُشْبُ وبعضُ النباتات، وارتَفَعَ فَوْقَهُ قَفَصٌ واسع مَصْنُوع مِنْ خَشَب وزجاج، يَمْنَع الحشرات التي داخِلَهُ مِنَ الهَرَب، في سَقْفِهِ ثُقُوب تصلها بالهواءِ الخارجي .

أَنصَتَ الثلاثة إلى أَصواتٍ منوَّعة تنبعث من داخل القفص . وسأَل خليل رفيقَيْه :

هل تُمَيِّزان صَوْتَ النحْل عن صَوْت الزُّنْبُور أَو صَوْت

الذُّباب ؟

فقالت أَمَل : إني أَسْمَع خُصُوصاً صَوْتَ الصرَّار الصَّيَّاح لأَنَّه مأْلوف عندي . أَسْمَعُه في حَرِج الصَّنَوْبَر طُول الصَّيْف وأَسْمَعُه أَيضاً في الشِّتاءِ .

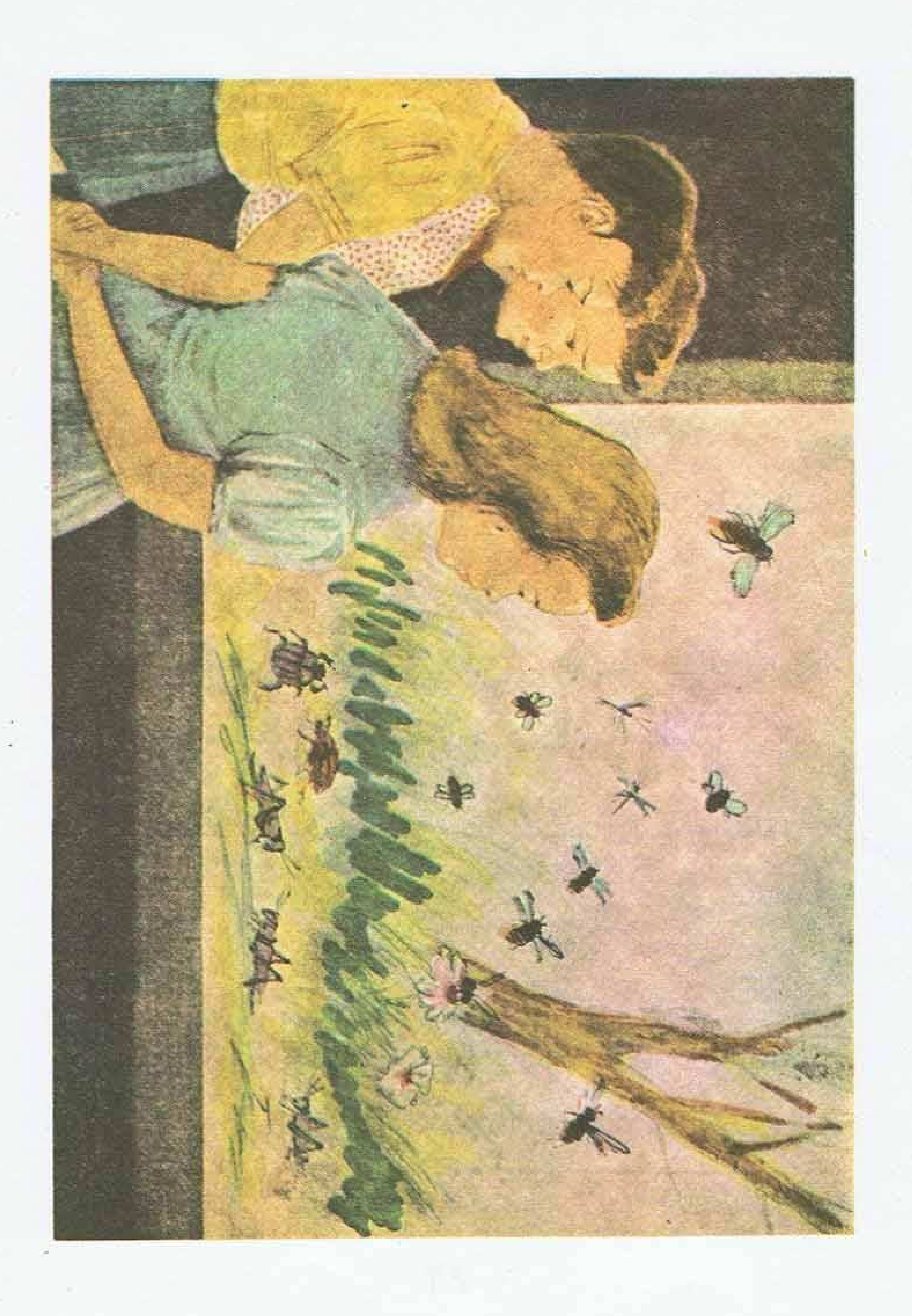
واقْتَرَب الثلاثة مِنَ الصنْدُوق . فرأَى الأَخَوان مجمُوعة مُدْهِشَة مِنَ الحشَرَاتِ . بَعْضُها جاثِم على غُصن داخِل القَفَص وبَعْضُها يَطِيرُ داخِلَهُ ، أَو يَدِبُّ فَوْقَ العُشْب .

كان هُناك جداجد ، وجَنادب أَو قَبَابِيط (جَمع قَبُّوط) تَقْفِزُ مِنْ مَكانٍ لآخَرَ ، فاتِحةً جَنَاحَيْن أَحْمَرَيْن . وذُباب أَزرق كبير وأَسْوَد صَغِير . وبَعُوض [1] يطِير مُدَنْدِناً ، وصَرَّار يَصِرُّ ، ونَحْلَة تئِزُّ ، وزُنبُور يَصُوت مطاردًا آخر ، وجرادة خَفَّاقَة الجناح . وزيز حرير مغلَّف بأَلوان لامِعة تتماوج بينَ الأَحْمَر والأَخضر فتبْهر النظر .

وقال خليل شارِحاً : لكُلِّ حَشَرَة طريقَة في إِحداث نَغْمَتِها . الجُنْدُب يَحُكُّ رِجْلَيْه الخلْفِيَّتَيْن على عِرْقٍ صُلْب

---

(١) بعوض : برغش .



في غِطاءِ أَجْنِحَتِهِ . للصرَّار صفِيحتان سسيكتان في بَطْنه تُغَطِّيان غِشاءً يُشْبِهُ غِشاءَ الطَّبْل وهُو الذي يُحدثُ الصَّوْت الرَّتِيب[1] الذي نسْمَعُه . الجرادَة تصْفُق الجَناح الأَمامي على الخلفي أَو الأَرجُل الخَلْفِيَّة القَوِيَّة على سَطْح الجَناح الأَمامي فصَوْتُها شبيه بالخَشْخَشَة . وإِذا مَرَّت أَرْجالُ الجراد أَي جَمَاعاته فَوْق رُؤُوسِنا كان صَوت أَجْنِحَتِها المُصْطَفِقَة أَشْبَه بِوَقْع المطر الغزير .

أَما النحْل والذُّباب فأَصْواتُها تحْدُث من اهْتِزاز أَجْنِحَتِها اهْتِزازًا بالِـغَ السُّرْعَة . وهناك خنافِس ذاتُ أَعضاء صَوتِيَّة محاذِيَة لِلْمَسَامّ أَي الثُّقُوب الجلدية التي تتنفَّس منها ...

وقاطَعَهُ نبيل لِيَسْأَلَه : ما غَايَتُها من التَّصْوِيت على هٰذه الصورة ؟

فقال خليل : يقُولُون إِنَّها تدعُو بَعْضُها بعضاً بهٰذه الأَصوات . الذُّكُور تَدْعُو الإِناث التي تُجاوِبُها أَحياناً أَو تَظَلُّ ساكِتَة . ويُلاحَظ أَنَّ الحَشَراتِ التي مِن صِنْفٍ واحِد

(١) الرتيب : الذي يلزم نغمة واحدة دون تغيير .

تُؤَلِّف أحياناً جَوْقَةً تترنَّم معاً بصَوْتٍ رَتِيب مُتكَرِّر لا يَتَغَيَّر ولا يَتَنَوَّع .

– هذا ما نُلاحِظُه في الصَّرّارات ، قالت أمل .

– نَعَم . لٰكِنَّنا نُلاحِظ عِنْدَ بَعْضِها تَنْويعاً . مَثَلًا صَوْتُ النحْلِ يَكُونُ حِيناً دَوِيًّا يَدُلُّ على الغَضَب ، وحِيناً هَمْهَمَة تُشيرُ إلى الرِّضَى ، أو هَدِيرًا وَقْتَ التجَمُّع .

– وما تُطْعِمُها ؟ سَأَلَه نبيل .

فأَجاب خليل : أَكثرُ الحَشَرَات تأْكُلُ العُشْبَ والوَرَق الأَخضر . لِهٰذا أَسقِي تُراب الصندُوق كلَّ يَوْم لِيَبْقى رَطْباً تتغذّى منه الأَعشاب والنباتاتُ الصَّغِيرة . أَمَّا النحْل والذُّباب فأَخُصُّها بشَيْءٍ مِنَ العَسَل .

وفيما كان نبيل وأَمَل خارِجَيْن من بَيْت خليل ، قال الأَوَّل : ما رأْيُك في جَوْقَة الحَشَرات التي رأَيْناها ؟

فقالت أَمَل : إنها فِكْرة طريفة . ولكن ، بما أَني لا أُحِبُّ

التَّقْلِيد، أُفَكِّرُ في تَـأْلِيف جَوْقَةٍ مِنَ الطُّيُور والعصافير بِشَرْط أَن أَجْعَلَها في قَفَص كبير جداً تطِيرُ داخِلَهُ بحُرِّيَّة فلا تشعر أنها سَجِينة .

في حديقة الحيوانات

كان شابٌّ يُدعى تُوما، يعمل سِمْسارًا في أحد مراكز لندن التجارية .

سافر توما مرَّة إلى بوانس أَيرس، عاصمة الأَرجنتين، لقضاءِ بعض الأَشغال . ولدى عودته ذهب توًّا إلى مقرِّ عمله فقابله المدير بفتور وقال له : «لم نَعُدْ بحاجة إليك يا عزيزي . فتِّش عن رزقك في غير هذا المكان .

إسْتولَتِ الدهْشَة على تُوما وسأَل المدير : لماذا ؟ أَلم أُحْسِن القيام بواجبي ؟

- بلى، بلى، أَجاب المدير دون تردُّد . إن سلوكك لا غُبار عليه . لكن التجارة في كساد يضطرُّنا إلى الاسْتِغْناءِ عنك .

إنصَرف، تُوما حزيناً مهموماً . وفي طريقه اشترى جريدة وطالع فيها صفحة الاعلانات فوجد ما يلي : «مطلوب شابٌ رصين الخُلق للعمل في حديقة الحيوانات في لندن . »

فكَّر تُوما بُرهة ثم قال لنفسه : «إني أُحِبُّ الحيوانات فلنَرَ ما وراءَ هذا الإعلان . » .

وركب سيَّارة أَوْصَلَتْهُ إلى حدِيقَةِ الحيوانات حيث قابل المدير . فقال له هذا : إنَّ مظهرك يُعْجِبُني . وأَعْتَقِدُ أَنَّك تستطيع القيام بدور القِرد . »

– القِرْد ؟ هتف توما معجباً .

– إسْمع يا عزيزي . كان عندنا في الحديقة قرد كبير من جزيرة بورنيو . وقد مات منذ يومين ، رحِمَه الله ! لقد آلمنا كثيراً هذا الحادث لأَنَّه يهدِّد بتعطيل أَشغالنا ... تصَوَّرْ أنه علينا أَن ننتظر شهرين للحصول على قِرد جديد ! ولكن ريثما يأْتي القرد الجديد، حنَّطْنا جلد القرد القديم ونجحنا في المحافَظَةِ على شَكْلِهِ الأَصلي . ولا ريب أَنك ستلبَسُه بسهولة وتَجِدُه مناسِباً لك كلَّ المناسَبة . وبذلك



تستطيع تمْثِيل دور القرد إلى أن يأْتِينا بديله ... ثلاث ليرات في اليوم أيُرْضِيك هذا ؟ حَسَن ... اتَّفَقْنا .

لبِس تُوما جِلْد القرد ودخل القفص وأخذ يقوم بحركات رشيقة ، بارعة ، أمام المُتفرِّجين . واكتشف أنَّ لدَيْه موهبَة التمثيل فواصل عملَه برَغبة ونشاط . ولكن لم يمضِ عليه أُسبوعان حتى ملَّ رتابة عمله ، فخلَعَ جِلده وذهب لمقابلة المدير وفاجأَه بقوله : إني أَموت ضجرًا من عمل واحد لا يتغيَّر . ألا تسمح لي بالحصول على مِرقاة (سُلَّم) أُمارس عليها بعض التمارين والأَلعاب الرياضية ؟

– دُونَك المِرقاة !

ونَصبوا له في القفص مِرقاة عالية . وأَخذ توما القرد يمارس فوقها أَلاعيب مُدهِشة ويدور كالشمس حول القضيب الخشبي .

في صباح أَحد الأَيَّام ، أَسرفَ في الرياضة والدَّوَرَان حتى فقد توازُنه وأَفلت القضيب من يده فسقط ، لا في قفصه ، بل في قفص مجاور مكشوف السطح . وبقي هناك

بضع دقائق، مطروحاً على الأرض بلا حِراك . ولما فتح عيْنَيْه، نظرَ حَوْله، فإذا في زاوية القفص أسَد نائم .

أخذ توما يرتجف من الذُّعْر . وحاوَل الهرب فلم يَقْدِر لأنَّ القفَص كان مُقْفَلًا . وفيما هو يتنقَّل حائِرًا، مذعورًا، أفاق الأَسدُ ودنا منه . فأَيقن الشابُّ بالهلاك وأَخفى وجهه بيَدَيْه وراح يتلو صلاة المنازعين .

وفيما هو كذلك أحسَّ بِيَد تَهُزُّ كتِفَهُ وسمعَ صَوْتاً آدمياً يُخاطِبُه . إنَّه صَوْت الأَسد يقول له : لا تَخَفْ . أنا أَيْضاً كُنْتُ سِمْسارًا في لندن .

الفهرس

مجموعة قصص عالمية للأولاد